ما زال وطننا مجهولاً في العالم تغطيه صور الاستشراق

أصداء خمسينية تضرب ثقافتنا

كتب محمد الأسعد

بعد أكثر من عقد من ستوات عربية طرأت فيها طوارئ على ثقافتنا، قلبت مفاهيم كانت تسير على اقدامها فاصبحت تسير على رؤوسها "الثقافة.. ثقافات، والوطن.. أوطان، والشعب.. شعوب، إلخ" ، أصبح من الضروري ، ونحن نغادر عاما ونفتتح آخر جديدا، تغيير عادة تقديم جردة ببضائع الماضي، وتوقع أو تمني أن تكون بضاعة المستقبل أغنى وأقوم.

الأجدى من كل هذا لفت الإنتباه إلى ما يسقط في متناسبات من هذا النوع عادة : أعني تعليل الهزال إن وجد، وتعليل ما تتوهمه بعض الأفهام شحماً في مَن شحمه ورمٌ، أي الوهم الشائع والمعتاد، صاحب الحظوة بأعلى عدد من المصفقين والراقصين وحصادي آيات الثناء والتمجيد. وثقافتنا، وسياتيكم ما نعنيه، جمعت الهزال والتوهم من طرفيهما.

من الممكن تقديم إحصائية بعدد مهرجانات قامت ومؤتمرات عُقدت وجوائز ، مُنحت ومعارض كتب تكاثرت في هذه الجزيرة أو تلك من جزر الوطن العربي، وتذييل كل هذا بأننا لا زلنا بخير ثقافيا على الأقل، لا سياسيا ولا اجتماعيا ولا اقتصاديا ولا علميا بالطبع، لأن الثقافة حين تسير على رأسها لا تعود تعرف ما تعنيه السياسة أو المجتمع أو الاقتصاد أو العلم، بل ولا يسالها احد أسئلة من هذا النوع. والثقافة حين تؤثر السلامة في خضم العواصف والقواصف حين تلم بإنسانها وتأوي إلى ما تفقته توهما أنه وظيفتها في ظل حرّاس الأوهام، تفقد ما تعتني به أي ثقافة حية، وما يعنيها عادة، أي الفعالية والشمولية والدور.

تغيير العادة سيكون إذاً بالتركيز على هذه المفاهيم الثلاثة الغائبة في جردة من يجرد، وحصاد من يحصد. فما الذي تعنيه الفعالية التي تفتقدها ثقافتنا العربية، الأدبية والفنية بالطبع، ما دام الهزال وصل حد عزل كل جوانب الحياة عنها حتى باتت كلاما، أي حتى مع تدمير الزرع والضرع الذي لا تقوم لثقافة قائمة من دونه، وحتى مع وصول الحال بها أن سامها كل مفلس؟

في أبسط معانيها، تعني الفعالية أن وظيفة أي ثقافة هي تغيير الإدراك، رؤية النفس والعالم ، ابتكار رؤيا لعالم جديد يولد، وكل هذه بالطبع روائز في أي تقييم لما هو أقوم، وليس لما هو أطعم .

إذا أخذنا بالفعالية معياراً سنستقيم الأمور، ونقف الثقافة على قدميها مجدداً ، أي ستعرف حجم الزيف الذي ألم باوساط الثقافة والمثقفين، وتعرف كم هو حجم الوهم الذي ابتلع أعمار أجيال خدعتها أسماء وعناوين لم تنر طريقا ولا سددتْ خطى، ولا فتحت أفقا، ولا غيّرت إدراكا.

ولا دليل أبسط من ظهور هذه الوجوه المعتمة بثياب مستعارة من ملابس أناس العصور الحجرية التي انقضت حتى على براعم ما كان تنويرا وعقلانية في ظنّ الأجيال الماضية ، ناهيك عن الانقضاض على أجمل قيم الماضي العربي وفنونه وآدابه ومنجوزاته وعمائره ، حرقاً وتدميراً.

معنى هذا من الواجب السؤال عن مصير تلك التيارات الثقافية التنويرية، وآثار العقول النقدية، بل وعن تضحيات من دفعوا الضريبة من معاشهم ومعاش عائلاتهم وحياتهم أحياناً، في سبيل تشكيل مدارك واعية ومجتمعات محصّنة ضد التخلف والخرافة على الأقل. هل كانت فعلاً وتبدّدت، أم أنها من جانبها لم تكن نبتاً طبيعياً بل نبتاً مصطنعاً ؟

المفهوم الثاني الخاص بالشمولية، جاء به رومانتي عاقل حين قال "أنا إنسانٌ لأن كل ما يعني الإنسان في أي مكان يعنيني، وكل ما يعنيه ليس غريباً عني" . بهذا النوع من الشمولية ينفتح الإنسان على العالم من حوله، وتتحوّل ثقافته إلى أفق وليس إلى حظيرة أغنام أو زاروب عائلي .

ثقافة الأفق تعني في أبسط ما تعنيه أن يقرأ الصينيون أو الأوروبيون رواية كاتب عربي فيرون أنفسهم في شخصيات رواياته . ويتكشف لهم وطن عربي تحت ضوء جديد لم يالفوه في ما ورثوا من قصص وأساطير الأزمنة الغابرة.

فهل يمكن القول، إن وطننا أصبح مالوفا عبر ثقافته، عبر روائيه وفنانيه، في نظر العالم، أم ما زال مجهولا تغطيه صور من استشرق وغزا ونهب من غزاة هذا الوطن؟ لا أعتقد أننا أصبحنا أكثر قربا من العالم من حولنا إلا من زاوية صورتنا كغنيمة مباحة.

وحين نصل إلى المفهوم الثالث، مفهوم الدور، ستعرف السبب؛ سبب الفعالية المفقودة وسبب الغياب الحاضر الذي نمثله بجدارة.

حين يغيب دور الثقافة، في عالم الصراع القائم، عن وعي أصحابها، وحين يختصرها أصحاب الناقة المهزولة ومن يحسبون الورم شحما، بالتطريب والمراثي والمدح والهجاء، ويتجادلون ويختلفون طويلا حول ماهيتها، مع وجود تراث ثقافي إنساني هائل حسم مسالة الماهية منذ زمن طويل: تبتعد كثيراً عن دورها في صميم الصراعات الاجتماعية والصراع بين الدول، وتجهل أن هناك ما يسمى سياسة ثقافية، ويمكن أن تصبح أي شيء إلا أن تصبح ثقافة.

القليلون يتذكرون ما يُدعى التسلح الثقافي، أي الحرب الثقافية التي جندت لها المخابرات الغربية واجهات ثقافية فتكت بالعقول، وأفسدت كما تفسد الآن كلمات مثل "الحرية" و"الديمقراطية" و"الثورة" وشغلت معظم النصف الثاني من القرن الماضي. وسيجد هؤلاء غريباً أن تضع مقالة مثل هذه عنواناً لها يذكر بأصداء تلك الأيام وهي تضرب ثقافتنا اليوم، بل وتقلبها راساً على عقب، فلا يعرف أصحابها حتى أنهم يدورون في متاهة، وقد أصبحوا الربابنة الوحيدين في العالم الذين فقدوا بوصلات الفعالية والشمولية والدور واحدة بعد أخرى.

عن "العربي الجديد"

جزء من لوحة للفنانة التشكيلية منى مرعي

وصل هزال الثقافة إلى حدّ عزل كل جوانب الحياة عنها

هل الحب حالة أم احتياج ؟!

كتب د . إيناس عمر

صباحكم ابتسامه تتحدى التفاتة من شفاهكم لتغمرها ضيًا

اليوم سيكون الحب هو محور حديثنا الشائك سنبحر معًا في عالم الهوى حيث لا شيء يفوقه جمالا

وأتساءل انا عن الحب !

فهو ليس موضوعا ليطرح ، بقدر ما هو سؤال يجتاحني

هل الحب حالة أم احتياج ؟

وقبل التعمق عبر هذه الفكرة ،

دعونا أولا نبحث عن كنه الحب ..

ما هو هذا الشعور الغامض ؟

إن مفهوم فرويد للحب يميل للحسية ويستحق التامل ،

حيث قال عنه إنه «احتياج النفس للإشباع ، وحاجة الإنسان للانتماء والإندماج والتكامل» ،

أما سقراط فكان الأعنف في نظرته للحب حيث رأى أنه «خيال وتصور محض وقرنه بالحزن لا السعادة» ،

ومال القرطبي إلى القول الذي رأيناه بعد ذلك بشكل أكثر وضوحا عند فرويد ، في أن «النفس تميل لتكميل ذاتها» .

في حين تصوره : الغزالي «ميلا لما فيه لذة وانجذاب ، ورغبة النفس وحاجتها للتملك» .

اما ابن: فاعطيه مسمى آخر ،

« فالحب هو الجوع للآخر حتى آخر رمق ، هو الشبع ولو من فتاته» .

هو اكتفاء وارتواء بلا توقف ،

ويبقى السؤال هل للحب انواع ؟

نعم ولكننا اليوم سنتحدث عن «حب الحالة» ،

وحب «العله أو حب الاحتياج» ..

سنحاول معًا أن نصل سويًا للمعنى ،

فحب الحالة هو ذلك الحب غير المبرر،

حب هو بلا هويه حيث تجد نفسك غارقًا فيه حد الضمالة فيما لا تدري له سببًا ،

هو ارتباط بشخص يتولد في إثره شعور ،

وارتقاء النفس كأنما هو تلاقٍ روحي ، أو ولادة جديدة ،

أما حب الحاجة فهو افتقاد للشعور ذاته لا للحبيب ،

واحتياج للشعور الذي يقدمه المحبوب ،

وحين تتضاءل المشاعر ويخفت صدى الاحتياج ، يطفو شعورنا الحقيقي للسطح، ونجد انه احتياج للشعور لا للشخص .

في البدايات المشوهة والحب المنقوص لمجرد التجربة ، أو في اعلى درجات الاحتياج يولد حب الحاجة .

وفي محاولتنا للبحث عن الحب نرتطم ونتخبط ونتيه عبر اجتياح المشاعر ما بين احتياج للحبيب ، وافتقاد للشعور

ونخفق في إدراك نوع الحب الذي يتملكنا .

وكما للحب أنواع فله أيضا درجات ومراتب ،

يبدأ بالإعجاب والارتباط والدفء ، ويتدرج للشغف والتعلق ثم يميل للافتتان والوله ، حتى يصبح حبا وعشقا .

وعلى غرار «مثلث برمودا» ، فللحب مثلث خاص به رؤوسه الألفة العاطفة والالتزام ،

والحب الاحتوائي هو النوع الذي يحتل قمة هذا المثلث ، ويضم كل هذه الأركان معا ،

إن أسطورة الحب الحقيقي تكمن في كونه فعل مقترن بقول ، واقتناع وقبول بالحبيب كما هو دون تجزئته ،

هو المعنى المتمثل في كيف نرى أنفسنا في الحب أجمل .

وذاك الشعور المتفرد بالسعادة المقترنة بوجود الحبيب ، فالمشاعر المختلطة بالحب متباينة لحد مذهل ،

تجعلنا في حاله من الدفء الدائم وشعور غامر بالاحتياج والرغبة للحبيب ،

ولعل ابرز فكره تراودني وهي :

لماذا يموت الحب ؟

إن للحب أركان إذا أهملتها نفق !

وهي كيف تجيد الاستماع والاهتمام للحبيب ؟

أن تتفهم كنهه العلاقه ومدى تأيدك لمشاعر الحبيب وتأكيدك لها ،

تواجدك حين الحاجة ،

ودعمك لمشاعره بالاحترام والصدق ،

وتزكية روح الصداقة ،

ويروي الحب أولا وأخيرا بالعاطفة ،

إنه كزهرة إن غفلت عنها تذبل أوراقها ،

فالحب احساس يكاد يُلمس ،

وينجرف الحب ويخبو إذا ما غذته شهوه الامتلاك الأناني والتغيير التوافقي .

ويظل السؤال قائما :

هل ندفع الآخرين لان يحبونا ؟

هل هناك تعمد في الحب ؟

ام أن هناك بعض الأشخاص خلقوا لكي نحبهم قسرا ودون توقف ؟!

تحدوا كل المعوقات أمامهم وأثبتوا قدرتهم على الإبداع الحقيقي

تلامذة سوريون لاجئون في الأردن يرون العالم مختلفاً

«لجأت منذ سنوات إلى منطقة صويلح، إحدى الضواحي الفقيرة والمكتظة بالسكان للعاصمة الأردنية عمان، لا نملك إلا بعضا من بقايا مساعدات حصلنا عليها اثناء عبورنا للحدود، ولم أكن وقتها أحمل العابي التي نسيتها في بيتنا المدمر في منطقة دوما قرب دمشق»، تقول الطالبة السورية اللاجئة فاطمة نزار (14 سنة).

وتضيف فاطمة الطالبة في مدرسة «مانيا» الحكومية في صويلح: «لم أجد طفلا صديقا حينها العب معه، فجميع من كان بجاورنا من الأطفال كانوا ينظرون إلينا كغرباء، بيد أن الحال تغيرت مع الوقت»، ومع التدريب الذي تلقته على التصوير الفوتوغرافي، والذي حولها إلى إنسان منتج وغيّر نظرتها إلى الحياة من خلال عدسة الكاميرا.

وخلال شرح فاطمة المهارات الجديدة التي اكتسبتها في مجال التصوير الفوتوغرافي مع مشروع «حياتي» الممول من الاتحاد الأوروبي، أكدت أنها ترنو إلى الشعور بحياة طبيعيّة من دون خوف ملؤها الأوقات السّعيدة، لكن صوت الانفجارات وصافرات الإنذار والمعارك المسلّحة ما زالت تدوّي في أذنيها.

وتضيف أن حياتها تغيرت نحو الأفضل بعدما التحقت بأحداث آخرين في البرنامج التدريبي الذي تعمل على تنفيذه مبادرة «مدرستي» التابعة لوزارة التربية والتعليم الأردنية بدعم من اليونيسف ومن متحف الأطفال في عمان.

عن التغيّرات التي لمستها نتيجة التدريب تقول فاطمه إنها أصبحت تشعر بأنها «عنصر مشارك في الحياة ولا تنقصني الثقة والطمأنينة تجاه محيطي الجديد».

فتيات مشاركات في المشروع

ريام العسري طالبة سورية أخرى تصف الدورة التدريبية بالقول: «التحقت بالدّرس من باب الفضول، ولكنّي تمكّنت من أن أتعلّم الكثير عن بيئتي، بل أكثر ممّا كنت أتصوّر، من خلال التقاط صور للأطفال وهم يلعبون في الطّريق وصور للحياة اليوميّة وللمناظر الطبيعيّة».

وتضيف: «كنت في السابق لا أعير محيطي أيّ اهتمام، أمّا الآن فأهتم بكلّ شيء حولي».

وبرنامج «حياتي» للصّور الفوتوغرافيّة هو مشروع تربويّ جديد يرمي إلى النّهوض بالتّعايش واحترام الذّات لدى الأطفال في المدارس العموميّة الأردنيّة التي تستضيف حاليًا ألف لاجئين. وسجّلت المبادرة المموّلة من الاتحاد الأوروبي مشاركة 500 طفل بالتقاط 60 ألف صورة، أصبحت بعضها أعمالاً فنيّة حقيقيّة وستنشر في كتاب سيوضع في متحف الأردن. وتمّ منذ بداية الأزمة السّوريّة عام 2011 تسجيل أكثر من 160 ألف طفل سوريّ في المدارس الحكومية، في بلد يشكو من ضعف الموارد الطبيعيّة والاقتصاد متعثّر.

ومنذ اندلاع النّزاع في سورية، كان التزام الاتحاد الأوروبي قويًا في إطار «خطة لا جيل مفقود»، كما وفّر لليونيسف ولوزارة التعليم مبلغاً يفوق 150 مليون يورو. ولكن رغم هذه المساهمة للنهوض بجودة التعليم وللحدّ من نسب المغادرة المدرسيّة «كان التقدّم بطيئاً، وفق تصريحات المسؤولين لدى بعثة الاتحاد الأوروبي، إذ إن الفقر المدقع الذي يعانيه اللاجئون والمجموعات المحليّة يتسبّب بارتفاع نسب التسرّب من المدارس وبخاصّة لدى السّوريين.

وقال ساهر قبّاض مدير مدرسة «مانيا» التي اقيمت فيها الدورة التدريبية أنّ مشروع «حياتي» نجح بامتياز في امتحانه الأوّل «وعلّم الأطفال قيماً تسمح لهم بالتّعايش وبأن يصبحوا أطفالاً عاليّين ويتحرّروا من خوفهم من الآخر ليتعاونوا. كما اكتشفوا حقوق الإنسان ليصبحوا في نهاية المطاف أكثر إنتاجاً. والمشروع أعدّ الأطفال للحياة ومدّهم بمهارات الاتّصال وبنى لديهم الثّقة بالنّفس».

اختصاصي التّصوير الفوتوغرافي خالد عمران الذي عمل مدرباً في الدورة يقول إن «التلامذة الذين يحضرون دروسي يهتمّون بالتّصوير الفوتوغرافي ما سمح بخلق جوّ أخويّ بين الأطفال الأردنيّين والسّوريّين».

وتنعكس نتائج مشروع «حياتي» في بوادر الثقة التي تظهر على جنان بركات، فهي على رغم انتمائها إلى الصف الثامن تتكلم كأنّها نجمة سينمائية بابتسامتها التي لا تفارق محيّاها وحيويّتها الدّائمة. كما تتمتّع بدرجة عالية من احترام الذّات. وقد حدّثتنا عن تجربتها قائلة: «آلة التّصوير ترافقني في كلّ مكان لالتقط صورا لكل كبيرة وصغيرة. وكان رأي المدرّب إيجابيًا للغاية ما جعلني فخورة بنفسي».

وتذكر جنان أنّ بعضهم حاول ثنيها عن مواصلة «دروس التّصوير الفوتوغرافي لكنّها تجاهلتهم وتريد أن تتعلم المزيد في الميدان لتصبح ربّما مصوّرة محترفة. وقالت وهي تضحك مع فاطمة وأطفال آخرين: «بدأت أحبّ التّصوير الفوتوغرافي وازدادت ثقتي بذاتي وكوّنت صداقات جديدة».

عن «الحياة» اللندنية

المصريون يتصدرون قائمة الترجمة بجائزة الشيخ زايد

المصريون يتصدرون قائمة الترجمة بجائزة الشيخ زايد

أعلنت جائزة الشيخ زايد للكتاب في الإمارات القائمة الطويلة لفرع الترجمة، وضمت عشرة أعمال من أصل 74 عملا مترجما من اللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية.

وضمت القائمة ست ترجمات من الإنجليزية إلى العربية، منها أربعة أعمال لمترجمين مصريين هي (النظام السياسي في مجتمعات متغيرة) للمؤلف صمويل هنتنجتون وترجمة الأكاديمي حسام نايل، و(الكون الأنيق) للمؤلف براين جرين وترجمة محمد فتحي خضر.

كما ضمت القائمة (الثورة الرابعة: كيف يعيد الغلاف المعلوماتي تشكيل الواقع الإنساني) تاليف لوتشيانو فلوريدي وترجمة لؤي عبدالمجيد السيد، و(القاهرة منتصف القرن التاسع عشر) للمؤلف إدوارد وليم لين وترجمة أحمد سالم سالم.

أما باقي الأعمال المترجمة من الإنجليزية فكانت (التحول الإلكتروني: ترسيخ استراتيجيات التنمية الحديثة) تاليف ناجي حنا وترجمة عجلان بن محمد الشهري من السعودية، و(قصة الفن) للمؤلف إرنست جومبرتش وترجمة عارف حديفة من سوريا.

وضمت القائمة ثلاثة أعمال مترجمة من الفرنسية إلى العربية وهي (تاريخ العلوم وفلسفتها) للمؤلف توماس لوبلتييه وترجمة محمد أحمد طجو من سوريا، و(لماذا نتفلسف؟) للمؤلف جان فرانسوا ليوتار وترجمة يوسف السهيلي من تونس، و(الكتابة والشفوية في بدايات الإسلام) للمؤلف جريجور شولر وترجمة رشيد بازي من المغرب.

كما ضمت القائمة عملا واحدا مترجما من الألمانية إلى العربية هو (نظرية استيطيقية) للفيلسوف تيودور أدورنو وترجمة ناجي العونلي من تونس.

وتبلغ قيمة جائزة فرع الترجمة 750 ألف درهم إماراتي (نحو 204 آلاف دولار)، وهو أحد ثمانية أفرع تشملهم الجائزة إضافة لجائزة شخصية العام الثقافية.

وأعلنت الجائزة في وقت سابق عن الفوائم الطويلة لأفرع (الفنون والدراسات النقدية) و(التنمية وبناء الدولة) و(الآداب) و(أدب الطفل) و(المؤلف الشاب).